الفصل الثالث

مفهوم العقل وحجته عند السلف والمتكلمين

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف العقل في اللغة والألفاظ المرادفة له ومفهومة في اصطلاح السلف والمتكلمين.

المبحث الثاني : حجية العقل عند السلف والمتكلمين.

المبحث الأول

تعريف العقل في اللغة وبيان الألفاظ المرادفة له

ومفهوم العقل في الاصطلاح

وفيه مطالب:

المطلب الأول: تعريف العقل لغةً والألفاظ المرادفة له.

أولاً: تعريف العقل لغةً:

قال ابن فارس: «العين، والقاف، واللام، أصل واحد منقاس يدل على حبسه في الشيء، ومن ذلك **العقل وهو الحابس عن ذميم القول والعقل**»[(١)].

وقال ابن منظور: «والعقل: القلب، والقلب العقل، **وسمي العقل لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك**، أي يحبسه، وقيل العقل هو **التمييز الذي به يتميز الإنسان عن سائر الحيوان**، وعقل الشيء يعقله عقلاً: **فهمه**»[(٢)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة: (٤ / ٦٩).

(٢) لسان العرب: (٩ / ٣٢٦).

وقال الفيروز أبادي: «العقل: العلم أو بصفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها أو نقصها»[١].

ثانياً: الألفاظ المرادفة للعقل في المعنى:

١) **اللب**: قال ابن منظور: «ولُب الرجل: ما جعل في قلبه من العقل»[٢].

وقال الفيروز أبادي: «واللبيب العاقل»[٣].

٢) **الحلم**: بالكسر الأناة والعقل، وجمعه أحلام وحلوم، وفي التنزيل العزيز: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ..﴾ [الطور: ٣٢][٤].

٣) **النهى**: العقل: يكون واحداً أو جمعاً، وفي التنزيل العزيز ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤] والنّهية: العقل. سميت بذلك لأنها تنهى عن القبيح[٥].

٤) **الحجر**: بالكسر العقل، واللب لإمساكه ومنعه وإحاطته بالتمييز، وفي التنزيل العزيز: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥][٦] والحِجرَ: العقل والفطنة[٧].

---

(١) القاموس المحيط: (١٣٣٦).
(٢) لسان العرب: (١٢ / ٢١٥).
(٣) القاموس المحيط (١٧١).
(٤) لسان العرب: (٣ / ٣٠٤).
(٥) لسان العرب: (١٤ / ٣١٤).
(٦) لسان العرب (٣ / ٥٩).
(٧) لسان العرب: (٣ / ٦٩).

المطلب الثاني: مفهوم العقل في الاصطلاح:

أولاً : مفهوم العقل في اصطلاح السلف :

هناك عدة أقوال في معنى العقل عند السلف: منها:

١ـ أن العقل غريزة، قاله الأمام أحمد[١].

٢ـ أنه آلة التمييز، نقل ذلك عن الشافعي[٢].

٣- أن العقل يطلق ويراد به أربعة معان وبه قال شيخ الإسلام ابن تيمية هي:

١- علوم ضرورية يَعرف بها بين المجنون والعاقل.

٢- علوم مكتسبة تدعوا الإنسان إلى فعل ما ينفعه وترك ما يضره.

٣- العمل بالعِلم يدخل في مسمى العقل أيضاً.

٤- الغريزة التي يعقل بها الإنسان[٣].

ولا خلاف بين هذه الأقوال التي ذكرها السلف في مفهوم العقل وذلك لأن العقل غريزة وصفة من الصفات التي وهبها الله عز وجل للإنسان ليميز بها بين الحق والباطل لأنه آلة التمييز

---

(١) العدة في أصول الفقه لأبي يعلى: (١ /٧٦).

(٢) انظر بغية المرتاد لشيخ الاسلام ابن تيميه (٢٦٤).

(٣) انظر بغية المرتاد ص ٢٦٠ ـ ٢٦٣.

والفهم التي يعقل بها الإنسان عن الله تعالى وحيه ويتدبر بها في آيات الله ... ويكتسب بها علوم تنفعه في دنياه وآخرته ويعمل بمقتضى ما فهمه بعقله من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ. فهذا هو الإنسان العاقل[١].

ثانياً: مفهوم العقل في اصطلاح المتكلمين:[٢]

كثُرت أقوال المتكلمين حول مفهوم العقل أشهر هذه الأقوال:

١- أن العقل جوهر.

٢- أن العقل صفوة الروح[٣].

٣- سلك بعض المتكلمين مسلك الفلاسفة في تصنيفات العقل وإعطاء كل صنف مصطلحات فلسفية فطنه[٤]. مثل العقل الهيولاني، والعقل بالملكة، والعقل بالفعل والعقل بالمستفاد.

ومن هذه الأقوال يتضح مدى تأثر المتكلمين بالفلاسفة في مفهوم العقل ومع ما في تعريفهم للعقل من قصور غير مضبوط فقد غفلوا جانب التفاوت في العقول فليس عقل زيد كعقل

---

(١) منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل: (١ / ٧٣). د/ جابر إدريس.

(٢) انظر منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل د/ جابر إدريس (١ / ٧٧ ـ ٨١).

(٣) التعريفات للجرجاني (١٥٢).

(٤) العقل وفهم القرآن. للحارث المحاسبي (٥٤).

عمرو وهذا أمر بديهي يعرفه كل أحد من نفسه قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الصحيح الذي عليه جماهير أهل السنة وهو ظاهر مذهب أحمد وأصح الروايتين عنه وقول أكثر أصحابه أن العلم والعقل ونحوهما يقبل الزيادة والنقصان..»[١].

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه (١ / ٧٢١ ـ ٧٢٢).

المبحث الثاني

حُجة العقل عند السلف والمتكلمين على مسائل الاعتقاد[١]

وفيه مطالب:

المطلب الأول: حجة العقل عند السلف في مسائل الاعتقاد:

يحتج السلف الصالح رضوان الله عليهم بصحيح المنقول في مسائل الاعتقاد فإنهم يحتجون أيضاً بصريح المعقول الموافق لصحيح المنقول فإنهما حجة الله تعالى إلى خلقه.

«فالله تعالى أعد العقول العادية لإرادة له وأعد لها ما سددها فيه من الفطرة والآيات الظاهرة في الآفاق والأنفس ثم أكمل ذلك بالشرع فإذا انقاد العقل العادي للشرع وامتثل هداه واستضاء بنوره فقد أَمِن ما يخشى من قصور»[٢].

ويرى السلف الصالح أن حجة الله تعالى الشرعية العقلية لا تتناقض ولا تتعارض بل تتوافق وتتعاضد.

---

(١) انظر: منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل: د/ جابر إدريس (١ / ٩٥-١١٩).

(٢) القائد إلى تصحيح العقائد. الشيخ عبد الرحمن المعلمي (٣٩).

ومع هذا فالسلف الصالح لم يعطوا العقل سلطاناً مستقلاً ليكون حاكماً على الوحي ولم يهملوه كما فعل الصوفية بل احتجوا به واشترطوا بذلك أن يكون موافقاً لصحيح المنقول متى كان كذلك يحتج به مع النقل الصحيح.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «بل العقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال وبه يكتمل العلم والعمل لكنه ليس مستقلاً بذلك لكونه غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين فإذا اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار وإن انفرد بنفسه لم يُبصِر الأنوار التي يعجز وحده عن إدراكها وإن عزل بالكلية كان الأقوال والأفعال مع عدمه أمور حيوانية قد يكون فيها محبة ذو حد وذوق كما يحصل للبهيمة فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة والأقوال المخالفة للعقل باطلة والرسل جاءت بما يعجز العقل عن إدراكه لم تأت بما يعلم العقل امتناعه»[1].

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه (٣ / ٣٣٨-٣٣٩).

المطلب الثاني: حجة العقل عند المتكلمين على مسائل الاعتقاد:

يرى المتكلمون أن العقل هو الحاكم والسلطان على نصوص الشرع حتى ذهب بعضهم إلى أن الاحتجاج والاستدلال في التوحيد إنما هو في أدلة العقول وليس طريقة الإخبار[١].

وإذا ذكر المتكلمون الدلالات فإنهم يقدمون عليها العقل فعندهم الدلالات أربع حجية العقل والكتاب والسنة والإجماع، ومعرفة الله لا تنال إلا بالعقل[٢].

ويقرر القاضي عبد الجبار المعتزلي أن الأخبار في الاعتقادات عموماً تنظر فإن كانت موافقة لحجج العقول قبلت واعتقد وجوبها وإن لم تكن موافقة ففيها مسلكان:

الأول: التأويل.

الثاني: الرد أو الحكم بأن النبي ﷺ لم يقلها وإن قالها فإنما قالها على طريقة الحكاية عن غيره[٣].

وهذا التقول على رسول الله ﷺ وتحريف الصحيح المقول أو رده سببه الانتصار للمنهج العقلي الفلسفي نسأل الله السلامة.

---

(١) المعتمد في أصول الفقه. لأبي الحسن البصري: (٢ / ٦).
(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار: (٥٤).
(٣) المصدر السابق (٧٦٨ - ٧٧٠).

أما الرازي وهو من كبار الأشاعرة فإنه يقرر أن الدلائل النقلية ظنية وأن العقلية قطعية والظن لا يعارض القطع[١].

وهذه النتيجة التي توصل إليها الرازي وهي إسقاط الاحتجاج بصحيح المنقول في مسائل الاعتقاد وقدم عليها معقولاته التي وصفها بأنها قطعية وهي في الحقيقة وهمية خيالية.

وبهذه التقولات يتبين لنا أن المتكلمين إنما يعبرون الحجة في العقل فقط دون النقل بل جعلوه حاكماً على نصوص الوحي وهذا ضلال مبين. نسأل الله السلامة..

(١) انظر معالم أصول الدين للرازي: (٢٤).